الفصل الثامن

الارشاد المهني مدخل
لهندسة التغيير في سياسة القبول بالتعليم الجامعي
في العصر الرقمي

مقدمة :

تعد خدمات التوجيه والإرشاد المهني حديثة في البلاد العربية إذا ما قورنت بالدول الغربية.وقد اتضحت حاجة المجتمعات الإنسانية إلي خدمات التوجيه والإرشاد المهني في الآونة الأخيرة نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي وما تبعه من تغيرات اقتصادية واجتماعية وعلمية انعكست على الفرد وعلى المجتمع بمؤسساته المختلفة وما صاحبه من صراعات مختلفة أدت إلي تردى الأحوال النفسية للأفراد وتردى الأحوال الاقتصادية.

وتعد خدمات الإرشاد المهني ضرورة ملحة في تحقيق أهداف التعليم الجامعي الرامية إلي حفز مواهب الطلاب المتباينة لتنمو نمواً متكاملاً أكاديميا وأخلاقيا ونفسياً واجتماعياً وسلوكياً، وإعداد الطلاب إعداداً يتوافق مع ميولهم وقدراتهم وقيم مجتمعهم، ومواكباً للتحديات التنموية السريعة على الساحة المجتمعية، إذ يعد الإرشاد المهني نشاطا أساسيا ضروريا في مؤسسات التعليم الجامعي، لإكتشاف رغبات الطلاب وقدراتهم وتحديد أهدافهم ومساعدتهم على رسم الخطط المحققة لها بما يتلاءم مع إستعداداتهم، وما يساعد على تزويدهم بالمهارات الأساسية التي يحتاجها عملهم بعد التخرج، وتسهم في التنمية الشاملة لمجتمعهم.

ولا شك أن عدم تحديد وظائف الإرشاد المهني وعدم معرفة المشكلات المعوقة للعملية الإرشادية، يؤدى إلي إرباك المرشدين فيما يقومون به من مسئوليات والى حيرة الطلاب في اختيار نوع الدراسة الملائمة لميولهم وقدراتهم والى عدم التوافق بين ما يدرسه الطالب وما سيعمل فيه بعد تخرجه، بالإضافة إلي حالات التأخر وضعف التحصيل الدراسي عند البعض وإنسحاب البعض الآخر من الدراسة.

فالعالم اليوم يواجه زيادة مضطردة في نسبة البطالة، وتتأثر الدول النامية ومنها البلدان العربية بهذه الزيادة المختلفة تأثراً كبيرا، وقد ظهر هذا التأثير السلبي واضحاً في الأعداد الهائلة من الشباب العاطلين، ويدل ذلك على عدم التوافق بين برامج التعليم ومتطلبات سوق العمل، ويستدعى هذا بإلحاح إيجاد توجيه مهني فعال يؤدى إلى التكامل والانسجام بين مناهج التعليم وحاجات المجتمع من المهن المختلفة.

ويعانى الطلاب كثيراً في جمهورية مصر العربية عند اختيار نوع الدراسة أو المهنة التي تلائم قدراتهم وميولهم خاصة بعد إنهاء المرحلة الأساسية أو المرحلة الثانوية أو المرحلة الجامعية، إذ تتعدد أمامهم مجالات الدراسة الممكنة وأنواع المهن المتوفرة.

كما يلاحظ أن كثيراً من الراشدين غير راضين عن أعمالهم، وقد يرجع ذلك إلي أن عددا منهم لم ينجح في وضع الخطة التعليمية والمهنية الملائمة أثناء دراسته، وأنهم لم يحصلوا على التدريب اللازم للالتحاق بالمهنة التي يطمحون إليها، وقد يجدون أنه لم يكن من الممكن أن يتركوا العمل الذي اشتغلوا به للبحث عن عمل أفضل.والكثير ممن وقعوا في هذا الخطأ تركوا المدرسة أو الجامعة والتحقوا بأول عمل تيسر لهم، دون دراسة لأنفسهم أو الأعمال التي من المحتمل أن تناسبهم أكثر من غيرها، ويترك البعض وظائفهم للبحث عن أعمال أفضل، ولكن دون أن يبذلوا جهداً للوقوف على إمكانياتهم ومعرفة الأعمال التي تقنعهم وتشبع حاجاتهم.

ولا شك أن قرار اختيار مهنة المستقبل يعد من أهم القرارات التي يتخذها الإنسان في حياته، وان مثل هذا القرار تزداد أهميته مع ازدياد عدد السكان والمهن المتوافرة ومتطلبات الحياة التي تواكب التطور في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية مما جعله قضية فردية واجتماعية على حد سواء

ويمكن للمرحلة الجامعية التي ستتناولها الدراسة الحالية أن تلعب دوراً جوهريا في مساعدة الطالب على اتخاذ قرار مهنة المستقبل، فهي مرحلة محورية في حياة الشباب تبدأ من يوم التحاق الطالب بالجامعة وتنتهي عند تخرجه وتحديد مستقبله المهني، وخلال سنوات الدراسة في الجامعة يطور الشباب مفهومهم عن ذواتهم ويصبحون أكثر دراية وثقة بقدراتهم العقلية والعملية بشكل موضوعي وواقعي مما يؤهلهم لاختيار مجال المهنة الذي يتناسب مع كل منهم.

إلا أن هذا النضج ليس وليد الصدفة أو يتم بصورة عشوائية وذلك لان تطور مفهوم شباب الجامعة عن المهنة ينبغي أن يكون جزءا أساسيا من دراستهم الجامعية.فمن المؤكد انه بدون معلومات كافية ووعى عن العلاقة بين الجهد المبذول في الدراسة الجامعية وبين المستقبل المهني تقل دافعيه الطلاب للتعليم، وقد ثبت بالدليل القاطع أن الطالب الذي يفتقد إلي مثل هذه الرؤية لا يهتم بتعليمه الجامعي الاهتمام المطلوب وقد يعزف عن التعليم برمته ويقرر ترك مقعد

الدراسة إلي الأبد، ومن هنا يتضح دور المرشد المهني في الجامعة والذي من شأنه أن يزيد من دافعيه وإقبال الطلاب على التعليم وتقليل فرص هجرهم لمقاعد الدراسة.

وتعد مرحلة التعليم الجامعي مرحلة محورية في حياة الشباب، فهي تبدأ من يوم التحاق الشاب أو الشابة بالجامعة وتنتهي عند تخرجهم وتحديدهم لمستقبلهم المهني. وخلال سنوات الدراسة في الجامعة يطور الشباب مفهومهم عن ذاتهم ويصبحون أكثر دراية وثقة بقدراتهم العقلية وبشكل موضوعي وواقعي مما يؤهلهم لاختيار مجال المهنة الذي يتناسب مع كل منهم.

إلا أن هذا النضج ليس وليد الصدفة أو تم بصورة عشوائية وذلك لأن تطور مفهوم شباب الجامعة عن المهنة ينبغي أن يكون جزءا أصيلا من دراستهم الجامعية. فمن المؤكد انه بدون معلومات كافية ووعي عن العلاقة بين الجهد المبذول في الدراسة الجامعية وبين المستقبل المهني تضعف دافعيه الطلاب للتعليم. وقد ثبت بالدليل القاطع أن الطالب الذي يفتقد إلي مثل هذه الرؤية لا يلي تعليمه الجامعي الاهتمام المطلوب وقد يعزف عن التعليم برمته ويقرر ترك مقعد الدراسة إلي الأبد. ومن هنا يتضح دور الإرشاد المهني الجامعى الذي من شأنه أن يزيد من دافعيه وإقبال الطلاب على التعليم وتقليل فرص هجرهم لمقاعد الدراسة.

كما إن العمل المدرسي في مرحلة ما قبل التعليم الجامعي لا يتطلب من التلميذ أن يضع تصورات حول مهنته المستقبلية، فهو يتصور بأن حدود ما هو مطلوب منه هو النجاح في عمله المدرسي، لكن بعد أن يقضى التلميذ بعض الوقت تتغير تصوراته ويتصور أن عمله في هذه المرحلة هو وضع أساس لعمل سوف يقوم به عندما يكبر وينهى تعليمه الجامعي.فالتلميذ يبحث عن بدائل يختار منها مهنة معينة، ومن البديهي أن لكل مهنة مستوى معينا من الصعوبة في القدرات اللازمة لها، وهنا يتدخل الإرشاد المهني من حيث معرفة واقعية التلميذ في اختيار تلك المهنة.

فالتوجيه والإرشاد المهني له دوراً فعالاً في تنمية الأفراد ومن ثم تنمية المجتمع وتقدمه من خلال إعداد الأفراد للاختيار المهني الصحيح الذي يتناسب مع قدراتهم وميولهم وخصائصها الشخصية والذي يؤدى إلي سعادة الأفراد وتقدم المجتمع وتطوره.

والتوجيه والإرشاد المهني في ظل المتغيرات المهنية والاقتصادية المختلفة التي طرأت على البلاد العربية ومنها مصر، أصبح ضرورة ملحة في جميع قطاعات التعليم ومراحله لتهيئة

الأفراد ليكونوا أكثر قناعة وكفاءة بما يختارونه من البرامج الدراسية والمهنية ومعرفة بما سيفعلونه بعد تخرجهم وبما هو متاح ومتوافر خارج المؤسسة التعليمية من مهن مناسبة لقدراتهم وميولهم وتخصصاتهم، الأمر الذي يقلل من الصعوبات والعقبات عنهم وعن مجتمعهم إلي الحد الأدنى.

فقد كان الاعتقاد بان عملية الاختيار المهني ليست سوى عملية أو حادث معزول عن خبرات الفرد، وقليلا ما كان يوجه الاهتمام إلي ما يسبق عملية الاختيار وما ينتج عنها إلا أن هذه النظرة قد تغيرت في العقود الثلاثة الأخيرة وصار ينظر إلي عملية الاختيار المهني بوصفها عملية طويلة الأمد تبدأ منذ الطفولة وتؤثر فيها خبرات المدرسة وعملية التعلم التي ترافق الفرد أثناء مراهقته ومواجهته لمشاكل الحياة.

والمتأمل في حال الطالب المصري في الوقت الراهن يرى أنه إنسان مسلوب الإرادة لا رأي له ولا قرار فيما يدرسه أو فيما ينتظره من عمل في المستقبل بعد تخرجه من إحدى المدارس المتوسطة أو الجامعة، فمنذ دخوله المرحلة الابتدائية حتى تخرجه من الجامعة يدرس ما يحدده له المسئولون عن التربية والتعليم وإذا كانت هناك فرصة لاختيار مادة علمية معينة أو شعبة معينة مثل الشعبة العلمية أو الشعبة الأدبية في المرحلة الثانوية، فإن أفراد أسرته يتطوعون مشكورين لاختيار المادة أو الشعبة التي سيلتحق بها، دون أن يكون له هو حق إبداء الرأي الذي يوضح من خلاله ميوله ورغباته، ويستمر الحال هكذا حتى تأتى لحظة اختيار الطالب للكلية التي سيلتحق بها بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية فلا يستطيع الطالب اختيار الكلية التي يرغب الالتحاق بها لأن مكتب التنسيق التابع لوزارة التعليم العالي يكون قد حدد له مسبقا الكلية التي سيلتحق بها على أساس مجموع درجاته بعد اجتياز اختبارات الثانوية العامة، وتتفاقم المشكلة عندما يدخل الطالب الكلية التي يختارها له الآخرون فيجد أن بها عدة أقسام عليه اختيار أحدها ليتخصص فيه فيقوم أفراد أسرته وأقاربه مرة أخرى باختيار القسم المناسب له من وجهة نظرهم وليس من وجهة نظره هو!

وعادة ما يكون لذلك تأثير سلبي على شخصيه الطالب يوضحها جودت عزت عبد الهادي وسعيد حسني العز بقولهما:

"يؤدي وضع الطالب في دراسة لا تناسبه إلى المعاناة من العقد والأزمات والأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية وفقدانه الشعور بالثقة في نفسه والرضا عنها، مما ينتج عنه سوء تكيفه النفسي والاجتماعي.

ولقد لاحظ الباحث حالة التيه والحيرة التي يعيشها الطالب المصري ولذلك عند اشتراكهم في عمل المقابلات الشخصية مع الطلاب الجدد الذين رشحهم مكتب التنسيق للالتحاق بكليات التربية، فلا يعرف الطالب أي أقسام التخصص يبدأ به في استمارة تحديد الرغبات ولا يدري لماذا يبدأ بهذا قبل ذاك؟ فلو سئل لماذا بدأت رغباتك بهذا التخصص عادة ما تكون الإجابة "أبي يريد ذلك" أو "أصدقائي نصحوني بذلك" أو "لا أدري مجرد إحساس داخلي"، وفي لقاءات مع بعض طلاب كلية التربية بأسيوط طرح الباحثون على هؤلاء الطلاب الذين هم على وشك التخرج سؤالا عن ماذا اعدوا لحياتهم العملية بعد التخرج فكانت إجابة الكثير منهم "لا أدري... لم أكن أود الالتحاق بكلية التربية من البداية، "هذا قدري"، وإذا سئل أحدهم هل تود العمل في مجال آخر؟ تكون إجابته "وما المجالات الأخرى وما طبيعتها وكيف الوصول إليها؟"